الآثار الإسلامية في البوسنة تحصدها مدافع الصرب

سراييفو: من اسعد طه

الحضارة الاسلامية التي امتدت دعائمها في تاريخ البوسنة قروناً تركت اثارها وبصماتها على كيان ووجدان المنطقة بكاملها في شتى نواحي الحياة سواء في العادات والتقاليد او الفن المعماري الاسلامي الذي تجاوز المساجد والجوامع والمدارس الاسلامية الى التكايا والمكتبات والمنازل، بل الى المصنوعات الجلدية والأقمشة، وهي كلها ادلة حضارية ما زالت شاخصة حتى لحظتنا الحالية تحتضنها قرى ومدن البوسنة رمزاً لتعلقها بهويتها الاسلامية واثرا على عمق الحضارة الاسلامية بها. ولذلك فقد كانت الهدف الاول لمدافع الميليشيات الصربية المتطرفة التي تعادي قطرة الحب والحياة والعيش في سلام في ظلال النعرات القومية المجنونة.

وحسب الاحصاءات التقريبية فإن جمهورية البوسنة والهرسك تضم اكثر من الف وخمسمائة مسجد، منها مسجد الفاتح نسبة الى السلطان محمد الفاتح، وقد تم تشييد هذا المسجد بعد ثماني سنوات من فتح القسطنطينية، وفيها مسجد الغازي خسرو بك الذي يعد من اجمل مساجد البوسنة، وقد شيد في عام ١٥٣٠م، وفي السنة التالية شيدت بجواره مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وهو يعد تحفة معمارية جميلة حيث تحفل جدرانه الداخلية والمحراب بزخارف اسلامية جميلة، وقد اعتاد مرتادوه على ختم القرآن الكريم يومياً من خلال برنامج منظم تلتزم به مجموعة من الرواد يومياً وتتغير كل اسبوع. وقد حافظ اهل سراييفو على هذه العادة الطيبة حتى اثناء الحرب العالمية واثناء المعارك الدائرة الآن، وفي الجهة المقابلة من المسجد بنيت مدرسة الغازي خسرو بك التي شيدها عام ١٥٣٧ اكراماً لوالدته التركية (سلجوقة)، وقد اوقف لإنشائها سبعمائة الف درهم وتعد من اقدم المدارس في شبه جزيرة البلقان واهم مؤسسة علمية في البوسنة والهرسك طوال الحكم العثماني، وكانت تسمى «سلجوقية» ثم سميت في ما بعد مدرسة «كورشولية» نسبة الى كورشوم، اي الرصاص، لأن المدرسة كانت مسقوفة بالرصاص، وقد استمرت هذه المدرسة في تخريج طلبة العلم من يوم تأسيسها حتى يومنا هذا، وعدد طلابها الآن ٣٠٠ طالب ومائة وخمسون طالبة وبها قسم داخلي، ويتم بها تدريس العلوم الشرعية واللغات العربية والتركية والانجليزية بجانب التاريخ وعلوم النفس والاجتماع، بالاضافة الى الانشطة الفنية من حفلات الانشاء وغيرها، وأمام خريج المدرسة الفرصة لاستكمال دراسته في كلية الدراسات الاسلامية الملحقة الآن بالمدرسة او العمل كإمام مسجد او مدرس في المدرسة. ويقول مدير المدرسة «سناهيد برسترتيج»: اننا تحملنا واجبنا تجاه اخواننا في اوروبا الشرقية بعد سقوط الشيوعية وافتتحنا فصلاً خاصاً للطلاب القادمين من بلغاريا وبولندا وغيرهما على امل العودة الى بلادهم كائمة ومعلمين.

اما مكتبة الغازي خسرو بك، التي اصبحت مزارا لرواد العلم والباحثين حتى يومنا هذا، فتضم في ثناياها مئات المجلدات والمراجع التاريخية النادرة، ويقول مدير المدرسة السيد مصطفى ياهيج انها من اكبر المكتبات في اوروبا التي تضم نصوصا عربية وفارسية وتركية، ففيها حوالي عشرة الاف مخطوطة وأكثر من عشرين الف كتاب، وقد وصلت هذه المخطوطات الى المكتبة بطرق متنوعة، مرة بواسطة الحجاج ومرة بواسطة الطلاب الذين كانوا يدرسون في مراكز العالم الاسلامي مثل اسطنبول وبغداد والمدينة المنورة وأيضا بواسطة التجار، وهي لا تشمل فقط العلوم الدينية بل كذلك الهندسية والطبيعية والجغرافية. ويضيف السيد مصطفى: ان المخطوطات الموجودة في الدول الاوروبية هي من مكتبتنا، وقد سرقت هذه المخطوطات منا في زمن الامبراطورية النمساوية الهنجارية.

وتحتوي المكتبة على ما يقرب من خمسين الف وحدة من المجلدات والمؤلفات والمجلات والوثائق التاريخية وجميعها باللغات الشرقية والصربو كرواتية والاوروبية، ومنها ٧٥٠٠ مجموعة و١٥٠٠٠ كتاب ورسالة في العلوم الاسلامية وعلم اللغات الشرقية والادب الكلاسيكي. وأقدم مخطوط محفوظ بمكتبة الغازي خسرو بك هو كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد محمد الغزالي المتوفى عام ١١١١م وهو كتاب في الدين والتصوف منسوخ عام ١١٣١م، ثم تأتي حسب القدم المخطوطات التالية: «كتاب فردوس الاخبار في مسور الخطاب» وهو مجموعة الاحاديث النبوية التي جمعها ابو سجي شيرارويح الديلمي الهمداني المتوفى عام ١١١٥م، والكتاب منسوخ بخط عبد السلام بن محمد بن ابراهيم الطلبي النيسابوري المتوفى عام ١٠٣٥م، ومحفوظ بالمكتبة المجلد الثالث فقط من هذا الكتاب ويشمل السورتين السادسة والسابعة من القرآن الكريم (الأنعام والأعراف) وهو منسوخ في اوائل ذي الحجة عام ٥٧١هـ اي ١١٦٧م، وهو بخط بركات بن عيسى بن ابي يعلي حمزة. وللمجلد ١٢٥ صفحة مكتوبة بالنسخ القديم وهو مشكل جزئياً.

ثم نذكر بعد ذلك المجلدين السادس والسابع من مخطوط «تفسير القرآن الكريم» لأبي القاسم جار الله الزمخشري والمنسوخين من الكتاب الاصلي سنة ١٢٦٢ في بغداد بالمدرسة المستنصرية وبيد ابي الفاضل اسماعيل بن موسى الرومي، ثم «تفسير سورة الفاتحة» لفخر الدين ابي عبد الله محمد الرازي المتوفى عام ١٢٠٩م، وهو جزء من تفسيره مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير وقد نسخه عمر بن ميكائيل بن عبد الله القيصري في مدينة القيصرية يوم ١٧ شعبان ٦٩١هـ المقابل ١٢٩١م، وكتاب «مختصر جامع الاصول في احاديث الرسول» وهو مجموعة الأحاديث التي جمعها ضياء الدين ابو الفتح نصر الله الجزري، وقد تم نسخه في شهر ربيع الاول عام ٦٩١هـ الموافق ١٢٩١م، وفي المكتبة ايضا عدد كبير من مخطوطات القرن الثالث عشر الى السادس عشر، لكن اغلبيتها من القرن السادس عشر.

وجدير بالذكر ان الغازي خسرو بك يعتبر المؤسس الحقيقي لمدينة سراييفو بعد ان اصبح واليا لمنطقة البوسنة من عام ١٥٢١ الى ١٥٤١، ومنذ ان دخل الاتراك سراييفو وإلى ان جاء الغازي خسرو بك واليا عليها، توسعت المدينة حتى اصبحت تتكون من سبعة عشر مجمعا سكنيا وسبعة عشر مسجدا، كما شيد حمام وخان وثلاث تكايا ومدرسة واحدة «مدرسة فيروز بك» وذلك عام ١٥٠٨م وجرت العادة على ان تبنى مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم بجانب كل مسجد لكل مجمع سكني.

ولد الغازي خسرو بك حوالي عام ١٤٨٠م في «سيريز» (اليونان حاليا) وكان مسقط رأس والده - الذي كان واليا تركيا - مدينة «تريبينا» في يوغوسلافيا. اما والدته فكانت شقيقة السلطان بيازيد الثاني. وقد تربى وترعرع الغازي خسرو بك في قصر السلطان في الاستانة. وقبل مجيئه الى البوسنة شغل خسرو بك منصب الوالي في مدينة «سميديريفو» (صربيا - يوغوسلافيا)، كما قام ببعض البعثات الدبلوماسية التي وكلت اليه من طرف السلطان التركي لدى بعض ملوك اوروبا.

وعندما وصل الى سراييفو في سنة ١٥٢١م وعلى الرغم من الحملات العسكرية التي قادها في دالماتسيا وكيرواتيا وهنغاريا، فإنه قام بنشاط كبير في ميدان الانشاء والتعمير بالمدينة. فإذا قدرنا المباني التي شيدها في سراييفو وغيرها من مدن البوسنة، واذا قدرنا قيمة الاملاك التي جعلها «وقفا» لتمويل منشآته الخيرية، فإن الغازي خسرو بك يعتبر من اكبر واشهر اصحاب الوقف في البوسنة والهرسك. وقد توفي خسرو بك في سراييفو عام ١٥٤١م ودفن في ضريح بجوار مسجده الذي بناه اثناء حياته.

في المكتبات الآن 7/05/1992

« بدون تعليق »

أجمل الكتب وأكثرها شهرة وتوزيعاً

لا يعني سفراً واحداً
ولكن آلاف المعاني والأفكار